نازك الملائكة

مآخذ اجتماعيّة

على حياة المرأة العربيّة

نازك الملائكة

مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية

السيدة

نازك الملائكة

هيئة الإنسانيات

الارتباط الوثيق بين مظهر الإنسان وبين روحه وفكره (١) :

ليست هذه المحاضرة * (٢) دراسة في فلسفة الحياة الاجتماعية ، وإنما هي

(*) ألقيت في الموسم الثقافي الرابع لجامعة البصرة للعام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ في ٥ / ٣ / ١٩٦٨ .

١ — هذا العنوان وما يتلوه من العناوين لم تكن في (الأصل) الذي بعثت به الكاتبة الفاضلة ، وقد أضفتها توضيحاً لأفكار البحث الأساسية ، وتسهيلا لفهمها وترسيخها في أذهان القراء الكرام .

٢ — التعليقات التي كانت في (الأصل) أشرت إليها بنجوم .

بحث في المدلولات الفكرية لحياة المرأة ، حاولت فيه أن أحلل الأزياء إلى مضمونها الروحي ، وأربطه بذهن المرأة وحياتها الاجتماعية والقومية .

ولقد يبدو ، أول وهلة ، أن الزي الإنساني عرض خارجي لا يرتبط بأعماق الإنسان ، غير أنني لست من أنصار هذا المذهب ، وإنما أدين بأن كل مظهر من حياة الإنسان مرتبط بصميم روحه ، فالحياة مترابطة موحدة لا يمكن تجزئتها ، والملبس يؤثر في العقل ويحدث تغييراً في روح الإنسان. وعندما تختار المرأة العربية اليوم لنفسها أن تكون متبرجة مبالغة في الأناقة ، فهي بذلك تصدر على ذهنها وروحها حكماً قهاراً يزج بها في ظلمات فلسفية وفكرية لا حصر لها . وأبرز هذه المسالك المظلمة أنها تخلي حياة المرأة من فكرة الحرية إخلاء تاماً .

المفهوم الصحيح للحرية :

ولكي نوضح معنى حكمنا هذا لا بد لنا أن نقول بدءاً : إن هناك خطأً عاماً في تعريفنا للحرية ، فنحن ننسب إليها مواقف ليست منها في شيء ، مثل أن نقول : إن المرأة قد تحررت ، ونريد بذلك أنها أصبحت قادرة على الخروج ، والدراسة في الجامعة ، والعمل في وظائف الدولة . فإن هذا الحكم يتغافل عن أصناف العبوديات التي تعشش في روح المرأة ، وتسيطر على عقلها . إن فتاة الجامعة والوظيفة ما زالت تحمل في نفسها نظرة الازدراء المهينة التي كان المجتمع يحدجها بها ، فهي أسيرة وإن حسبت أنها حرة .

أما التعريف الحق للحرية في نظرنا فهو سقوط القيود والأغلال عن

الذهن الإنساني بحيث يقوى على فرض نظرة جديدة أصيلة إلى الأشياء كلها ، ويستطيع أن يغيرها وفق حاجاته الروحية . فإذا وجد خطأ أو قبحاً أو ضرراً استطاع أن يحتج عليه ، ويرفضه ويغيره إلى ما ينفع الحياة الإنسانية ويخصبها ويجملها .والمرأة ، مع الأسف، ما زالت تنقصها هذه النظرة الحرة إلى الأشياء.

تحرر المرأة العربية دعوى كاذبة :

لقد تركت الشخصيات النسوية في كتاب (ألف ليلة وليلة) نموذجاً سيئاً للمرأة العربية ، هو نموذج الجارية التي لا يهمها إلا لباسها ، ولا ترى في نفسها أكثر من متعة للرجل ، تعيش بغرائزها وعليها أن تكون جميلة ، وأن تسلي الرجل وتطهو له الطعام السائغ . وهذا النموذج ما زال المتحكم في حياة المرأة العربية ، لم يغيره خروجها إلى الحياة العامة قطعاً ، وكل ما تغير فيها أقوالها . فقد بتنا نسمعها تتحدث عن دور اجتماعي عظيم تقوم به ، وخوض مختلف مجالات العمل والبناء ، وتحرر من عبودية القرون المظلمة . غير أن صميم حياة المرأة يكذّب هذا ويبطل أثره . إن في وجودها تجزيئية واضحة تفرق بين القول والعمل ، بين النية والتطبيق ،بين الفكر والحياة . وما زالت المرأة تحيا بعواطفها وغرائزها وحدها ، منحها الله الذكاء والعقل والإبداع ، فلم تستعمل منها شيئاً ، وبقيت أشبه بدمية مثلها الأعلى الأناقة المسرفة ، وبذلك جحدت عطاء ربها وجحدت المجتمع وجحدت ذاتها .

واقع المجلات النسائية :

ولعل خير بداية نفتتح بها دراستنا لحياة المرأة العربية أن ننظر في

المجلات التي تسمي نفسها نسائية ، فماذا سنجد فيها ؟ إنها في أغلب الحالات مجلات أزياء ، لا تجعل للمرأة هدفاً أبعد من ملابسها وحقائبها وأحذيتها . وهذه المجلات تعامل المرأة الحديثة معاملة جواري ألف ليلة فتكتب لهن أمثال هذه العناوين المبينة : « سيـــدتي : ماذا تلبسين في رحلة بحرية ؟ » أو « فساتين للصباح » أو « تسريحات للشعر بعد الظهر » أو « بأي ملابس تظهرين في حفلة العشاء ؟ » فما تلبسه المرأة في الصباح يختلف عما تلبسه في المساء . وما يلبس في حفلات الرياضة يختلف عما يلبس بعد الظهر . وثياب المنزل تختلف عن ثياب الخروج . ولضفاف البحر ملابس خاصة . وعلى المرأة المتوسطة أن تكون لها ملابس لكل هذه المناسبات ، وأن يكون لها أكثر من واحد لتستطيع التغيير والتبديل . ولكل ثوب عقدٌ خاص به وأقراط ، وأحمر شفاه ينسجم معه وحذاء وحقيبة . واختصاراً للموضوع تجد المرأة أنها إذا أرادت أن تكون أنيقة كما تدعوها المجلات والإذاعات فسوف تجد أن الحياة كلها لا تكفي للأناقة .

بين الجمال والأناقة :

وما المدلول الفكري الذي يختفي وراء هذا ؟ إن معناه أن الجمـــال الإنساني أصبح من التكلف والتعقيد بحيث لا يمكن تحقيقه إلا بتبديد الوقت وهدر الطاقة وقتل الروح . ولا ينبغي أن تسمح المرأة الحرة أن يجعلوا جمالها كلفة روحية وعقلية باهظة تنفق لهـــا من حساب إنسانيتها ، وتفقد في سبيله حريتها وكرامتها .

والواقع أن النظرة التي تجعل اكتمال جمال المرأة بالملابس الكثيرة

نظرة تجعل الجمال مرادفاً للأناقة ، وهما في واقع الأمر ليسا مترادفين مطلقاً .
وما الجمال وما الأناقة بالمعنى الروحي ؟ أما الجمـــال فهو ملك للوردة الحمراء المشتعلة بالحرارة واللون والخصوبة على غصنها اللدن . والوردة لا تتأنق . الجمال ملك للفراشة التي وهبها الله ألوانها ولم تضع على شفتيها أحمر الشفاه ، ولم تزجج حاجبيها بالقلم الأسود . الجمال ملك لفتاة ذكية العينين بسيطة المظهر ، يشع وجهها عطفاً وحناناً ، وكأنها تريـــد أن تحتضن الوجود كله وتغمره بمشاعرها الكريمة .

وهذا الجمال المرهف العذب مبذول زهيد الثمن ، تملكه كل فتاة دون أن تضيع وقتها في أسواق الملابس وعند الخياطة الجاهلة . إنه جمال ينبع من الروح الكبيرة المستوعبة ، والذهن الحر المرن ، والقلب النابض الرقيق . وهو جمال الخلق الكريم والعذوبة ، والخشوع لله والنزاهة وكبر النفس .

وهذا الجمال لا علاقة له بالملابس والحلاق ، لأنه يتألق على وجه كريم وعيون حنون معطاء ، وهو يلمع على الشعر البسيط المسترسل الذي لا يهينه الحلاق بالعبث به . هذا هو الجمال فتعريفه أنه البساطة الإنسانية والفطرة كما خلقها الله حية روحية متفتحة .

وأما التأنق فمـــا أتفهه وما أشد إذلاله لروح الإنسان . التأنق هو الوسائل المصطنعة التي يظنونها تؤدي إلى طريق الجمال . أو لنقل : إنه الجمال المزيف المصنوع بالوســـائل الآليـة وسواها . فبدلاً من أن تعتمد الفتاة على مرونة ذهنها ، وسعة ثقافتها ، وجمال روحها ، ورقة ابتسامتها نجدها تعتمد على كثرة ملابسها ، والتصنع في شعرها . وبدلاً من أن توسع آفاق فكرها

بالمعرفة والعلم ، تلجأ إلى التبرج والتغنج ، والملابس القصيرة الضيقة التي تبرز أعضاء الجسم كما تبرز أجسام الجواري في سوق النخاسين .

جناية التأنق على عقل المرأة وروحها :

فالتأنق شر عظيم يحيق بذهن المرأة ، ويقتل روحها ، ويذل عقلها لأنه يمد مظهرها على حساب ذهنها ويكر بها إلى العصور الغابرة حين كانت المرأة تباع وتشترى في قصص ألف ليلة .

وقد تظن الفتاة أن تبرجها شيء ظاهري لا يمس عقلها ، فهي تستطيع أن تكون حرة رغم إمعانها في الأناقة ، وإسرافها في التصنع . وهي في هذا مخطئة ، فإن لكل عمل يقوم به الإنسان آثاراً فكرية وروحية بعيدة المدى . إن أعمالنا تؤثر في عقولنا وأرواحنا وتعيد صياغتها ، فإذا لم يتحكم العقل في سلوكنا تحكم سلوكنا في عقلنا .

وأول نتائج هذا التحكم أن التأنق يذل المرأة ويقتل كبرياءها . وأساس هذا الإذلال أن إقامة أسس الأناقة على كثرة الملابس ، وعلى الحلاق يشعر المرأة بأن الجمال هو الشيء الذي ينقصها ، لا الشيء الذي تملكه . فإذا أرادت أن تكون جميلة وجب عليها أن تكافح في سبيل ذلك ، فتعمل ليل نهار في استكمال ذاتها الناقصة .

ومعنى ذلك أن مبدأ التأنق يقوم بدءاً على الإقرار بأن المرأة لا تملك جمالاً ، وإنما هي ناقصة ، وعليها أن تصنع الجمال صنعاً لتجتذب عيون الرجل . فالتأنق إكمال لنقص ، بخلاف الجمال الذي هو فيض من السحر والعفوية ،

يطفح ويتدفق ويغمر الحياة كلها . التأنق نقص والجمال فيض ، وذلك هو الفرق الفلسفي بين حالتين تفقد المرأة في أولاهما كل شيء ، وتضطر إلى الكفاح ، وتمنح في الثانية خصباً وعذوبة وكمالا . وفي ظل الأناقة يصبح الجمال الفطري عاطلاً من القيمة ، فإن الجميلة كالقبيحة مضطرة إلى أن تكون أنيقة ، وأن تضيع وقتها في هذه التوافه . فكم تخسر المرأة حين تطوح الجمال وتتمسك بالأناقة ! !

. تكاليف الأناقة الباهظة :

وطريق الأناقة ، كما يعلم كل إنسان ، طويل مديد كله عقبات . فأول ماتحتاج إليه المرأة في ذلك أن يكون لها وفر من المال يفيض عن حاجتها . فالغنى المتوسط شرط من شروط التأنق. أما الجمال فكلنا يعرفه فقيراً متواضعاً لا يملك شيئاً . إنه منحة الطبيعة [1] المعطاء للفتاة الرقيقة البسيطة . والمرأة الأنيقة يجب أن تملك ثياباً كثيرة وملحقات لا حصر لها . ولا يخفى عليكم أن مؤسسات الأزياء قدعقّدت هذه الأشياء تعقيداً مسرفاً . فالحرص على أبسط مستوى في هذا يقتضي مالاً كثيراً . ومن ثم فإن مبدأ التأنق حين يصبح هو القانون النافذ في المجتمع يحرم نساء الطبقة الفقيرة أن يكن جميلات ، وبذلك يصبح الجمال حكراً تملكه الطبقة المرفهة وحدها . وفي ذلك إذلال للفقر وللفتاة الفقيرة . فالتأنق ضرب من الطبقة الاجتماعية ، بينما الجمال ديمقراطي شعبي

---

١ ـ هذا استعمال شائع ، والصواب أن يقال : منحة الخالق الكريم العظيم .

مشاع يملكه الكل ، ولا يشتريه المال والغنى . والجمال في هذا شأنه شأن العناصر الخيرة في حياتنا جميعاً ، فمثله في شيوعه العقل والخيال والخلق والفضيلة ، فإن كل هذه الأشياء العظيمة لا تشترى بالمال وإنما هي منحة الله للفرد يملكها الفقير والغني معاً ، فمن الخطأ أن يتبنى المجتمع مبدأ التأنق الذي يفرض الانحراف على طبقات الشعب .

إن مدلول هذا كله هو أن الأناقة ترفع الجمال إلى مستوى الأشياء الباهظة الثمن ، وفي هذا ما فيه من إذلال لكل فرد في المجتمع . ومن ثم يصبح التأنق انحرافاً في تعريف الجمال يقسم المجتمع إلى طبقات ، ويجعل الثورة التي نتغنى بها مجرد ألفاظ على شفاهنا ، ولا تطبيق لها ولا حياة فيها . والثورة كل ثورة ، لو أمعنا النظر ، مناقضة للأناقة المسرفة . الثورة طريق الفقر والتواضع والبساطة . والأناقة درب الأغنياء يفرشونه بالحرير والعطور والذهب .

وهـــذا الذي نقوله ليس مجرد حكم شعري منمق . فلو زرنا الاتحاد السوفيتي موطن الثورة الشعبية لرأينا النساء بسيطات الملبس مسترسلات الشعر لا يعرفن التأنق ، وإنما تأتينا هذه الأناقة الشائهة من بلاد الاستعمار والرأسمالية في الغرب ، وهذه حقيقة لا نكران لها ، ومن عجب أننا لا نتدبرها مطلقاً .

جناية الأناقة على الوقت :

بعد أن درسنا كيف يذل التأنق المرأة بأن يجعل الجمال كفاحاً مريراً [1]

---

١ ـ كذا الأصل ، والصواب : كفاحاً مراً .

بدلاً من أن يكون طبيعة وفيضاً ،وبعد أن لاحظنا كيف تذل الأناقةالشعب بأن تقسمه إلى طبقات متمايزة ، نأتي إلى جناية أخرى تجنيها الأناقة المسرفة على الإنسانية . وتلك هي الجناية على الوقت الذي هو ثروة الأمة . إن الأناقة النموذجية التي تدعو إليها مجلات المرأة تقتضي من الوقت ما لا تتسع له الحياة. فلقد تربصتُ بهذه المجلات عدة أشهر ذات مرة ، وأحصيت مجموعة الأشياءالتي تحتاج إليها المرأة لإنجاز الأناقة المثلى فوجدت الحياة كلها لا تكفي . لقد حقروا المرأة بأن جعلوا شعرها النموذجي تعقيداً عامياً لايحققه إلا الحلاق الذي يينبا بإجلاسها تحت المجفف ساعتين ، ليصفف شعرها تصفيفاً مصطنعاً . وقد فرضوا عليها العنايةببشرتها نصف ساعة كل مساء ، وربع ساعة للأهداب؛ وكذا من الوقت للأظفار ، ووقتاً للعناية بالكفين والقدمين ؛ وتمارين رياضية لتحيف الخصر ؛ وأخرى لمنع تجعدات الوجه ؛ وتمارين استرخاء وحمامات بخار.

وكل هذا يأكل وقت المرأة وعقلها ؛ ولا يبقي منها جانباً للشعور الإنساني؛وإنما يحولها إلى دمية أنيقة لا روحلها ؛ حركاتها آلية وبسماتها مصطنعة.

إن الوقت الثمين الذي يضيع عند الخياطة كان يمكن أن ينفق في إسباغ الحب على أب شيخ مريض ؛ أو زوج مرهق ؛ أو طفل يحتاج إلى التوجيه .

وبدلاً من أن تذهب الفتاة إلى الحلاق تستطيع أن تطالع كتاباً ينير عقلها ويهدي روحها . بدلاً من أن تذهب إلى خبير التجميل تستطيع أن تنتمي إلى جمعية تخيط الملابس للاجئين ، وتكسو طفلا عربياً عارياً .

إن وقت الفتاة هو ثروة الأمة وهي لا تدري . فكم ساعة من الوقت يكتسب المجتمع لو حذفنا الحلاق من حياة النساء ؟

والشعر المسترسل الطبيعي هو الجمال الحق فيه روحانية وجلال وبساطة ؛ ووراءه قيم اجتماعية عالية لأنه لا يكلف وقتاً ولا مالا ولا يذل روح الإنسان.

وخلاصة الرأي إن الأناقة مستوى من الجمال لا يوصل إليه إلا بإضاعة الوقت الكثير النافع الذي كان ينبغي إنفاقه في جهات أخرى ؛ ولا يصح للمجتمع أن يرفع مستوى الكماليات بحيث تصبح قاتلة للحياة الإنسانية نفسها . إن المقياس الأعلى هو الإنسان وخصب روحه ؛ وقوة انطلاقه نحو المستقبل الأسعد . ذلك مقياس كل شيء ومنه الجمال .

استعباد دور الأزياء للمرأة :

والأناقة بما فيها من تكلف وصناعة تفرض على ذهن المرأة صنوفاً شتى من العبوديات ؛ تعمل في حياتها وهي خانعة راضخة ؛ لا تحتج ولا تقوى على الاعتراض . إن دور الأزياء تحمل سيفاً بتاراً ؛ وترفع سبابتها آمرة ناهية فتصيح بالمرأة : البسي هذا واخلعي ذاك ؛ فلا تزيد المرأة على الرضوخ الخانع دون أن تفكر لحظة واحدة في رفض هذه الأوامر . وفي أحيان كثيرة تأمر دور الأزياء بما هو مضر أشد الضرر ؛ ومن عجب أن المرأة تقبل وتسكت ؛ فكأنها منوّمة لا قدرة لها على إنقاذ نفسها ؛ كتلك الطفلة التي كانوا ينومونها ويسقونها ماء الملح زاعمين لها أنه مشروب حلو ؛ فتشربه خاضعة مصدقة مع أنه ملح صاف .

الكعب العالي :

ومن أبرز هذه الأوامر المتعسفة التي قضت بها دور الأزياء ، وأشقت بها حياة الملايين من النساء في العالم ، لبس الكعوب العالية ، وهي بدعة ظالمة لم يعد الناس يلاحظون ما فيها من هوان وشر لطول ما ألفوها . والمألوف الشائع يسكت العجب ويميت الاحتجاج ، لأنه يتحول إلى عادة مقبولة . ولعمر الله كم امرأة في العالم قد سألت نفسها : لماذا ألبس حذاء ذا كعب عال يضايقني في المشي ويضر باستقامة ساقي ؟ وكم امرأة قد صنعت شيئاً في مقاومة هذا الطغيان المذل ؟

أما الأضرار المادية والروحية التي يفرضها الكعب العالي على المرأة فهي كثيرة سنحصيها وندرس صلتها بوضع المرأة الفكري العام :

أضراره الصحية :

وأبسط وجوه الضرر التي ينزلها الكعب العالي هو الوجه الصحي . فإن الله قد خلق القدم مسطحة لحكمة عظيمة تنسجم بها القدم مع الجسم ، فيساعده ذلك على الحركة والحياة والنمو . وما أظن أي إنسان متعلم يقوى على مناقشة هذا ، فالصحة تتطلب أن نلبس الكعب الواطىء ، والمشية الطبيعية التي تساعد الجسم على الرشاقة والجمال هي مشية تنبسط فيها القدم ويرجع الصدر إلى وراء . وكل امرأة سليمة لم تشوه الأباطيل ذهنها تعترف بأن السير بهذه الكعوب عسير مزعج[1] .

---

١ - قال الأديب الكبير علي الطنطاوي (في ص ٢٥ من كتابه القيم مع الناس) :
« والنساء يتخذن هذه الأحذية القظيعة ذوات الكعوب العالية ، مع أن المشي بها =

وأعجب العجب أن هناك سيدات تبلغ بهن عبودية الذهن أنهن يزعمن أن الكعب العالي أسهل في المشي عليهن من الكعب الواطىء . وهن يناقشن في ذلك متحمسات فما مدلول هذا ؟ مدلوله الواضح أن طول ما ألفن هذا القيد قد أمات إحساسهن الطبيعي ؛ وجعلهن يدافعن عنه كما تدافع المرأة الصينية القديمة عن الأربطة الضيقة الجارحةالتي يربطونبها قدمها لتبقى صغيرة ؛ فيصبح الأسر عادة . ولعل ذلك يشبه موقف ذلك العبد الذي تعلم أن يضربه سيده حتى إذا كف يوماً عن ضربه استاء وضاق وشعر أنه ناقص . فالدفاع عن الكعب العالي من هذا الصنف .

وأبسط وسيلة لإثبات هذا أن نسأل رجلاً أن يلبس الكعب العالي ؛ ويسير نصف ساعة وسيرى معنى ما نقول ؛ فإن السير بالكعب يكاد يكون مستحيلاً . وأنا شخصياً لم أستطع حتى اليوم أن أحتمله . والمرات القليلة التي

= أصعب من المشي على الحبل ، ومن لم يصدق من الرجال فليمش مشية خطوة على رؤوس قدميه ، وهي فوق ذلك تصلب عضلات الساق ، وتشوه جمالها ، وما ألبسها معنى ، وليس فيها جمال ، ولكن هكذا يريد الناس » .

ثم روى حادثة طريفة عن امرأة استعبدتها هذه الأزياء الغربية الغريبة فقال : « ورأيت مرة امرأة واقفة في الترام ، والمقاعد خالية ، وكلما دعوها لتجلس أبت ، ثم تبين لي أنها تلبس إزاراً (خراطة) ضيقاً عجيباً ، لاتستطيع معه المشي إلا كمشي المقيد بالحديد ، ولا تستطيع صعود درجة الترام إلا بكشف رجليها ، وإخراجها منها ، فلذلك لاتستطيع القعود ! تتساءلون لماذا تعذب نفسها هذا العذاب ؟ من أجل الناس ! » .

أرغمت فيها على لبسه كانت أتعس أوقات عمري وقد شعرت خلالها بازدراء فكري لنفسي ، وحنق غاضب على الذين وضعوا للمرأة هذه العبودية المرهقة. وبقيت أتساءل عن السبب الذي يوجب على المرأة هذا العذاب ، فلم أهتد مطلقاً اللهم إلا أن الانسان الشرير الذي ابتدع هذا الكعب قد ارتجله ارتجالاً دون أية فائدة اجتماعية للمرأة . وقد أرادوا بذلك أن يفرضوا علينا بطء الحركة وقلة الحياة .

أضرار الجمالية :

ويتبع السبب الصحي في ضرر الكعب العالي سبب جمالي فني يتطلبه الذوق الإنساني السليم . لأن الكعب العالي يضفي التصنع والتكلف على مشية المرأة ، فتموت الروح الإنسانية الحرة التي خلقت لتكون كريمة منطلقة تفرض ذاتها على كل شيء . وإنما سعادة العقل والروح في أن يكون الجسم حراً مرتاحاً غير ذليل. والكعب العالي يقتل الروح ويذلها ، لأنه يفرض علينا أن ندوس طبيعة أجسامنا دون سبب وجيه . فلماذا ينبغي أن تصنع المرأة في مشيتها ؟ قالوا إن ذلك مقياس الجمال ولذلك جعلوه النمط . ولكن من وضع هذا المقياس للجمال ؟ أما الطبيعة فإن مقياس الجمال عندها هو انسجام أوضاع الجسم وحركاته مع وظائفه التي يؤديها . فالحركة الحرة المنطلقة التي لا تتعب الجسم وإنما تنسجم مع بنائه هي الحركة الجميلة دائماً . إن الجمال هو انسجام أجسامنا مع الحركات التي نؤديها . فإذا أردنا اطلاق أعلى قابلياتنا

الفكرية والروحية فإن علينا أن نقوم بالحركات الطبيعة التي تلائم أجسامنا ، فبذلك تنمو وتزدهر روحنا وغلك الحرية والجمال .

والكعوب العالية تقتل الحركة الطبيعية قتلاً ، وتذل الجسم لأنها تفرض عليه حركات مصطنعة ، وإذا شعر الجسم بأنه ذليل ذلت روح الإنسان ونكست رأسها وخنعت . ولعله لا يخفى أن التصنع بالمعنى الفلسفي إذلال للجسم والعقل . وإنما الكرامة الفكرية في أن نكون طبيعيين نؤدي أعمالنا ونحن أحرار في حركاتنا ، نغدو ونروح في خفة ورشاقة وحرارة .

أضراره النفسية :

وثالث وجوه الضرر الكامنة في الكعب العالي الوجه النفسي . فالكعوب العالية تعذب المرأة وتحرمها السعادة بالشمس والحركة . إن جوهر الحياة هو قدرة الإنسان على الحركة ، فمن التحرك تنبعث البهجة وينبثق الرضى النفسي العميق . والمرأة لا تقدر على الحركة المنطلقة الطبيعية ، فإذا همت بالوقوف والسير خطوات شعرت بقدميها تقيدها ، وتفرض عليها الترنح في السير والتعب والتكلف . ولقد تعلمت المرأة تدريجياً ألا تكون حركاتها متحمسة مبتهجة وإن كانت لا تلاحظ ذلك . إنها قد فقدت القدرة على التعبير بالحركة ، وألفت فقدان بهجة التحرك وفرحة الانطلاق . وكم من امرأة ماتت حماستها وفرحتها بالشمس والحياة وهي تسعى في الطريق بقدمين ذليلتين مربوطتين . تريد أن تنطلق مع عقلها وروحها وتتحرك مع المتحركين ،وتدء

إلى الحياة والضوء ، فتشدها رجل أسيرة وضعوا لها كعباً أحمق لا معنى له ولا فائدة ولا جمال .

إن سعادة المرأة مثل سعادة الرجل في أن تعبر عن نفسها بالحركة والحياة. أما الرجل فقد كان كريماً عزيز النفس فلم يستطع أحد أن يضع له مسماراً في أسفل قدمه ، وأما نحن النساء فقد قبلنا الذل وسكتنا على أن نسلب الحرية والحياة . أمرونا بالتصنع فلم نحتج ، وسألونا أن نعذب سيقاننا وظهورنا فخنعنا. وأعطونا الهوان فقبلنا . وبذلك فقدنا بهجة العيش وقهرت روحنا ، وأصبحنا كالدمى التي تحركها خيوط .

أضراره الأخلاقية :

وآخر صنوف الضرر التي ينزلها الكعب العالي بالنفس الإنسانية هو الجانب الأخلاقي من الموضوع . والكعب العالي ، بالمعنى الفكري ، مضر بأخلاق المرأة يسيء إليها ويلوث نفسها . ويرجع سبب هذا إلى أن طائفة من النساء يلبسن الكعب العالي لأنهن قصيرات القامة ؛ فيحاولن بالكعب أن يتطاولن لعلهن يساوين الطوال والطويلات . ومن سوء الحظ أن طول القامة اليوم يعد من مقومات الجمال . وذلك هو الذي يدفع بالقصيرات إلى التطاول، كما يدفع الطويلات إلى أن يكن أطول مما هن عليه .

وأول ما نلاحظه في هذا الباب أن كل محاولة من المرأة لإسباغ طول غير حقيقي على قامتها إنما هو كذبة على الطبيعة ، وخداع للعقل والنفس .

إن على الفتاة القصيرة أن تشحذ ثقتها بنفسها، وتعتز بطولها دون أن تلوث نفسها بالكذب والتطاول فقد خلق الإنسان كريماً ، ومن كرم الذات أن نعترف بأبعاد حقيقتنا ، ونتقبل واقعنا صادقين نزيهين ، فلا نكذب على الناس وعلى أنفسنا ، ولا نلجأ إلى أساليب مذلة نطيل بها قامتنا بالتزيين والتصنع .

والواقع أن كون الكعب العالي وسيلة من الكذب والنفاق يجعل فيه ضرراً أخلاقياً واضحاً . فالخلق الإنساني ليس شيئاً نظرياً ، وإنما ينبغي أن يشمل الحياة كلها ، فنصدق في أعمالنا وأحاديثنا وواجباتنا . والكعب العالي كذبة تريد بها بعض النساء أن تخدع المقابل ، فتوهمه أنها أطول قامة مما هي عليه في الواقع .

وكل كذبة تلوث النفس الإنسانية؛ لأنها تذلها . وسبب إذلال الكذب الإنسان أنه يهدم الثقة بالنفس . وعندما تدرك المرأة أنها ترتفع على أطراف أصابعها ، وتحتمل الألم والتكلف لتتطاول تشعر بالهوان وازدراء النفس دون أن تدرك شعورها أو تشخصه .

إن احتقار الذات في هذه الحالة غير واع ، وهو ينزل بشخصية الفتاة الضرر دون أن تدري. وتلك بداية غلطة روحية عظيمة تفقد المرأة ثقتها بنفسها، والثقة بالنفس كنز الإنسان الأعظم ، ينبع منها الذكاء والبطولة والعظمة . ولا أظن أية امرأة يخطر لها أن الكعب العالي يسلبها شخصيتها الروحية والفكرية . ذلك أنه يشعرها بأنها لم تخلق طويلة بالقدر اللازم ، وأن الخالق سبحانه وتعالى قد أساء إليها وحقرها بالقصر غير المقبول ، فلا بد لها من إضافة

يسبغها عليها حذاؤها . ان علينا أن تكون ذات بهتان وتصنع وباطل لكي تساوي الطوال . ومن هنا ينبع الإذلال والزيف في شخصيتنا .

الحكمة الإلهية في جعل المرأة أقصر من الرجل :

ولنسأل أنفسنا حقاً : هل ينبغي للمرأة أن تكون أطول مما هي عليه ، وهل أخطأ الخالق سبحانه بجعلها أقصر قامة من الرجل ؟ في الواقع إن الخالق الكريم قد أحسن صنعاً عندما جعلنا أقصر من أزواجنا وآبائنا وإخوتنا ، فإن المرأة تأوي إلى ظل الرجل وتطلب حمايته وحنانه ، وهي لا تستطيع أن تحيا من دون ذلك . وقد جعلها الخالق أقصر قامة من الرجل لحكمة كريمة . ولو تأمل الرجل دخيلة نفسه لوجد أنه يسعد حين يجد نفسه أطول من زوجته وأخته وبنت عمه ، وكذلك تحس المرأة بالرضى النفسي وهي تجد أنها أقصر من الرجال . ومن ثم فإن هذا الكعب العالي غليظ لا فهم له ولا ذوق . إنه تمرد على الطبيعة النفسية للمرأة والرجل . فكم من امرأة تسير اليوم إلى جانب زوجها أو أخيها أو أبيها وهي تبدو أطول منه بالكذب والتصنع ؟ ولو كان الخالق يعتبر طول المرأة ضرورياً لاستطاع في يسر وسهولة أن يضع لها عظماً في أسفل كعبها بدلاً من الكعب العالي . ولكن حكمة الله أوسع من أن ندركها كلها . والخطأ في الموضوع خطأ البشر ، جل الخالق العظيم أن يكون عمله ناقصاً أو مغلوطاً .

الكعب العالي ليس جميلاً :

ونختم حديثنا الذي طال عن الكعب العالي بإلقاء سؤال فني : هل

الكعب العالي جميل ؟ وهو سؤال ينبغي لنا أن نتأمله ، لأن هذا الكعب قد شاع شيوعاً عظيماً ، وأقل ما يمكن أن يقال فيه : إن الحذاقين يرونه جميلا ، ويبرزون فنهم فيه ، وإن نساء كثيرات يرين فيه سر الأناقة ، فما سر هذا الوهم الجمالي بعد أن شخصنا أضراره المختلفة الكثيرة ؟ ولسوف ندرك وشيكاً أن الجمال الموهوم في الكعب العالي ناشيء عن شيوعه وحسب ، فهو لم يصبح جميلا إلا لأنهم عوّدوا العيون عليه . وكل شائع يصبح مقبولاً ، وكأنه يخدر العقل عن الحكم الصحيح .

وخير دليل على هذا أن أصحاب الأزياء جعلوا ملابس النساء طويلة حتى توشك أن تلامس القدم عام ١٩٤٨ ، فأصبحنا كلنا نرى الجمال في تلك الملابس . حتى إذا عادوا وجعلوها قصيرة أصبح القصر يبدو مستساغاً . فالشيوع يسبغ الرضى على الأشياء المجردة من الجمال في ذاتها. ومن هنا ينبغي أن نبدأ حكمنا على الأشياء الشائعة . إن علينا أن نحكم العقل في جمالية الأشياء دون أن نسمح لشيوعها أن يدمغ تفكيرنا ، ويعطل قابلية الحكم فينا . ولا ينبغي للسيدة المثقفة المستنيرة أن تحكم بأن الكعب العالي جميل بعد أن بيّنا لها عيوبه جميعاً ، لأن عليها أن تتذكر أن الشيوع يشل فكرها شللا كاملا ، فلا بد لها اذا أرادت أن تحكم حكماً سليماً أن ترتفع فوق تخدير هذا الشيوع المضلل ، وتتجرد من ضعف العقل أمامه .

خطر الأناقة على الاقتصاد العربي :

نعود الآن إلى مسألة الأناقة عامة بعد أن انشغلنا بمسألة الكعب العالي ،

وهو قضية جزئية من قضايا الأناقة ، درسنا وجوه استعبادها لذهـــن المرأة .
ونريد الآن أن نتنـاول الجانب القومي من مسألة التأنق ، وهو جانب خطير كل الخطر . وإني لأتساءل في بدء وقوفي عند هــذا الجانب : كم من ملايين الدنانير تنفق نساء العالم العربي كل عام في شراء الثياب والأحــذية والعطور والمساحيق ؟

أحسبنا لو قدرنا ذلك بأربع مئة مليون دينار لما بالغنا . فلو أنزلت كل امرأة نفقات أناقتها إلى الربع لاستطعنا شـــراء طائرات تكفي لدحر عدونا الأكبر إسرائيل . وإني لأندهش أشد الدهشة كيف لاتفكر مجلات الأزياء عندنا بهذا . إننا نستورد مستلزمات الأناقـة جميعاً من الغرب تقريباً فمن أقمشة إلى جلود للأحذية إلى عطور ومساحيق إلى عقود وأشـرطة ، وكل ذلك يكلف الدول العربية الملايين الكثيرة كل عام .

المرأة العربية وكثير من وسائل الإعلام العربي في خدمة معامل الأقمشة الأجنبية :

والذي يحدث لنا في هذا السبيل يلفت نظر أي ذهن متأمل لو أراد أن يتدبر . تقضي المرأة أشهراً طويلة تعـــد ملابسها وملحقاتها حتى إذا أكملت استعدادها تغيّر النمط فجأة ، فإذا الملابس القصيرة تتحول إلى طويلة في الموسم الجديد ، وبذلك تضطر النساء إلى التخلص من ثيابهن جميعاً . ولا يتغير الطول وحده عادة ، وانما يغيرون أسلوب الخياطة وشكل الخصر .

أذكر من ذلك أنهم خطوا لنا منذ سنوات ان تكون ملابسنا ملونة

زاهية ذات طبعات كبيرة كل الكبر ، فامتلأت الأســـواق بهذه الملابس ، وطبلت لها المجلات حتى أصبحت الفتاة التي تلبس ثوباً بطبعات صغيرة تحس أنها سقيمة الذوق تخالف الشائع ، ولذلك اشترت النساء جميعاً ملابس تجاري النمط العام . وفجأة في العام التالي غيروا الأنماط كلها دفعة واحدة ، فجاؤوا بملابس جديدة طبعاتها صغيرة كل الصغر ، رقيقة كل الرقـــة ؛ وخياطتها فضفاضة كأكياس الدقيق (١) حتى أصبحت من تلبس ثوباً له خصر وفيه ورود كبيرة تشعر أنها متخلفة لاذوق لهـــا . فكانت النتيجة أن الخزانات الملأى بالملابس الأنيقة اصبحت تبدو كالخاوية ؛ فمافيها شيء يمكن أن يلبس . وعند هذاذهبت العشرات والمئات من الدنانير إلى المزابل ؛ واضطرت كل فتـــاة إلى إنفاق عشرات جديدة لشراء ملابس جديدة .

وهل نحتاج إلى أن ندرس نتائج هذا ؟ إن معامل الأقمشة في الغرب المستعمر تضحك منا ؛ وتستعملنانحن النساء في ضرب الاقتصاد القومي في العالم العربي . ومعامل الأقمشة لا أخلاق لها ؛ وآلاتها الرهيبة بلا قيم ولا إنسانية . إنها تريد ان تبيع وتبيع ؛ وليس يهمها في سبيل ذلك أن تقتل روح الإنســان وتذل كرامته . وهذه المعامل الشريرة الجشعة هي التي تغير الأنماط كل عام . فتصنع دفاتر للنماذج جديدة ، وهو مايسمى بالموديلاتالتي تغمر أسواقنامثل مجلة (بوردة) اليهودية وسواها . وهـــذه المجلات تفتك بروح المرأة فتكا ذريعاً

(١) كان اسم ذلك الزي المنكر (الشوال) !

وتؤدي بنا إلى الخراب الاقتصادي الأكيد .

وقد دأبت المعامل على استعمال كل وسائل الإعلام في بث الدعاوة لما تنتج ؛ فهي تأتي بخبراء للملابس يخيطون الأقمشة الجديدة في أنماط معينة ؛ ثم تقيم معارض للأزياء ؛ فتأتي بفتيات جميلات تلبسهن هذه الملابس ؛ وتعرض أجسادهن على العيون كما كانت الجواري تعرض في سوق النخاسين . والمعامل تعطي جوائز على هذا العمل ؛ وتبذل آلاف الدنانير في الإعلان وحشد الجمهور وإغرائه بشتى الطرق . وقد أصبحت أخيراً تغري الإذاعات المرئية بتصوير حفلات الأزياء هذه ؛ ونقلها ليراها الملايين وينتقل الفساد إلى داخل البيت العربي نفسه .

والغرض من ذلك إقناع النساء في العالم بأن الأزياء قد تغيرت ؛ وأنماط الموسم الماضي قد ماتت ؛ وحلت محلها أنماط جديدة ؛ فعلى المرأة الأنيقة أن تسرع إلى الأسواق لتشتري لنفسها ملابس تتفق مع هذه الأزياء . وكل هذا قد أصبح يقع بسرعة ؛ وكأنما أصابنا جنون فلا تفكير لنا ولا شخصية .

العلاج : ١ – إحياء الحكومات العربية اللباس العربي الإسلامي الأصيل :

من كل هذا نرى كيف تعطل الأزياء اقتصادنا القومي في العالم العربي، فالقضاء على هذه البدعة مسؤولية الحكومات الثورية التي قامت في ديارنا . وأول واجب يقع على هذه الحكومات أن تحافظ على روح اللباس الشعبي

العربي بدلا من أن نقلد في لباسنا الغرب بدعوى أن أزياءه عالمية .

ولكم أحترم الهندفي انها حافظت على لباسها ، وصمدت في وجه الغرب صموداً (١) رائعاً . فالمرأة الهندية تلبس الساري الهندي الجميل الذي يلف كتفيها ويهبط حتى قدميها ؛ فيحفظ كرامتها القومية ويصون عزتها النسوية . إن ملابسها هندية وليست أوربية ؛ وهي تلبسها في وطنها وفي العالم كله ، وهي لا تقدس أزياء الغرب ، ومحلات الأزياء عندها بلا أية قيمة . فما أروعه مثلا للمرأة العربية لو أرادت أن تنظر .

إن علينا أن نحيي ملابس جداتنا الطويلة التي تصون العفة ، وتحفظ الجسم من الحر والبرد أجمل حفظ (٢) ، وفي وسعنا أن نطور هذه الملابس بما يلائم العصر على أن نضع الأنماط في بلادنا دون أن نستوردها من الخارج . وهذا الإحياء لأزيائنا الشعبية لايمكن أن يتم إن لم تتعاون عليه الحكومات العربية ، لأن الزي الغربي قد تفشى في حياتنا شر تفشٍ ، فالتغيير لايمكن أن يقوم به الأفراد وإنما هو وظيفة الحكومات .

٢ – منع استخدام وسائل الإعلام العربية للدعوة إلى الأزياء الغربية :

وفي مقابل هذا تمنع مجلات (بردة) وأمثالها من دخول العالم العربي

---

١ – قلت : وكذلك شأن الباكستان الشقيقة أيضاً .

٢ – أقول : وهي قبل ذلك كله تكسبنا رضوان الله عز وجل عنا ، وهو أكبر لوكانوا يعلمون ، كما تعد وسيلة فعالة للقضاء على الميوعة والفساد الخلقي .

وتمنع المجلات والجرائد العربية من نشر أنباء (الميني الجوب) كما يسمونها ، وما أكثر ما تقوم جرائدنا بالدعوة لهذه الأزياء وهي غافلة . ثم تعيد الحكومات العربية النظر في الإذاعات المرئية التي أفسدت الحياة العربية أيما إفساد ، فإن مذيعات التلفزيون قد أصبحن شر نموذج للأناقة المصطنعة ، تقلدهن تلميذات المدارس وربات البيوت في نمط شعورهن ولباسهن . وقد كان على الإذاعة المرئية أن تدرك أن المذيعة ينبغي أن تكون مثالا للحشمة والوقار ، وبساطة الشعر والملبس لتكون قدوة صالحة للمواطنة العربية العاملة التي يهمها عقلها وبيتها ووطنها ، وتنفق وقتها في التعلم والتوجيه والخدمة .

فماذا نجد بدلا من ذلك ؟ نجد مذيعات لا هم لهن إلا أن يجلسن تحت مجفف الحلاق يوميا ، فالمذيعة تبدو كل يوم بتسريحة شعر جديدة ، وما أقبح ما تبدو ! إنها تخطىء في قواعد النحو خطأ شنيعاً مخجلا غير أن شعرها مجعد ملفف منضد حتى تلوح أشبه بالقطة المنفوشة . وهذا مسلك لايليق بإذاعة حكومية المفروض فيها توجيه المواطنين إلى الصلاح والسداد .

٣ – إصلاح وضع المرأة وإدراجه ضمن مخططات الإصلاح :

والواقع الذي لامفر لنا من مواجهته أن الحكومات العربية الاشتراكية لاتدرج إصلاح المرأة ضمن مخططاتها السياسية والثقافية ، فكأن العامل هو الرجل وحده ، أما المرأة فإن وظيفتها أن تخيط الملابس ، وتجعد شعرها وتطيل أظفارها وتلبس الكعوب العالية . نعم نحن نعترف بأن الثورة

لم تفرق نظرياً بين الرجل والمرأة ، بل دعتهما كليهما إلى العمل والبناء .

إن قوانيننا تساوي المرأة بالرجل وتتحدث في إخلاص عن تكوين الفرد العربي رجلا كان أو امرأة بحيث يعمل في بناء الأمة العربية ، وإنقاذها من الاستعمار والتخلف والتمزق . والاشتراكية في هذا الحديث تعتبر المرأة فرداً عاملا في المجتمع ، عليها ما على الرجل وكل هذا مقبول . وإنما نعترض على أنه نظري وحسب . فإن وضع المرأة الحالي لا يعطيها من الفرص أكثر من أن تذهب إلى الحلاق وتتغنج ، وتحاول الإغراء على كل أسلوب . ثم غزتنا الملابس القصيرة وكنا نأمل أن تردعنا عنها تقاليدنا الكريمة ، وحرمة الشرف عندنا ، فإذا المرأة تنهار أمام هذا الغزو الفاضح ، ولا لوم عليها إذا هي انهارت ، فلست أرى الصحافة والإذاعات إلا مشجعة جميعاً على هذا الانهيار . لا بل إن الحكومات العربية نفسها تشتري مجلات الأزياء وتملأ بها أسواقنا . وهل المرأة ملك سماوي ، لتقاوم كل هذا السيل من الإغراء والدعوة ؟

إن هناك تخطيطاً عاماً في مجتمعنا يرسم للمرأة أن تنهار أمام الغزو المادي الغربي . ولو أرادت الحكومات العربية أن تخطط تخطيطاً آخر لاستطاعت ، وذلك بأن تمنع مجلات الأزياء الغربية منعاً صارماً ، وتقيم معامل للأقمشة عربية ، وتحيي أزياءنا الشعبية [1] ، وتستعمل وسائل الإعلام في تشجيع المواطنة العربية

---

١ – قلت : الزي الواجب على المرأة العربية المسلمة لبسه هو الجلباب الشرعي السابغ الساتر الذي أمرها الله تعالى به ، ولبسه نساء سلفنا الصالح الذين فتحوا الدنيا ونشروا فيها الحق والهدى والخير ، وانظر لتعرف صفاته وشروطه كتاب حجاب المرأة المسلمة لأستاذنا العلامة محمد ناصر الدين الالباني .

على تقليل نفقات زينتها ، والتبرع بها للمجهود الحربي وللآلاف المؤلفة من اللاجئين العراة . إن كل هذا حري أن يتم لو شاءت الحكومات العربية أن يتم ، ولا بد لذلك من تخطيط جديد يعطي للقضايا الاجتماعية قيمتها الكبرى في الخطط السياسية العامة .

اليهود وراء مغويات النســاء وهم المستفيدون من سيرنا في طريق الأناقة :

وإني لأحب أن ألفت النظر في هذا الباب إلى نقطة جوهرية في مسألة الأزياء التي نستوردها ، هي أن أغلب معامل الأقمشة ومصانع العطور والمساحيق إنما يملكها اليهود في الغرب . واليهود كما ثبت في هذا العصر يسعون إلى أن يسيطروا على العالم ، ويحكموه بعد القضاء على الحكومات العالمية جميعاً . وأسلوبهم في السيطرة ذو شقين ، أولهما الاستيلاء على المال في كل بلد ينزلونه ، وهذا قد تحقق لهم حيثما وجدوا لأنهم قوم يقيمون تعاملهم على ابتزاز الأموال بوسائل غير مستقيمة مثل الربا(*) وثانيهما هدم الأخلاق والمثل والقيم والمعتقدات واليهود يعلمون حق العلم أنهم إذا هدموا الأخلاق تهدمت الشعوب وانهارت أمامهم . قال الشاعر العربي [1] :

---

١ – هو أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله ، والبيت من درر حكمه ، وله في معناه :

وليس بعامرٍ بنيان قــومٍ إذا أخلاقهــم كانت يبابا

(اليباب الخراب) ويقول أيضاً: وإذا أصيب القوم في أخلاقهم: فأقم عليهم مأتماً وعويلا .

(*) راجع كتاب « اليهودي العالمي » جمع هنري فورد .

وإنمـــا الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهـم ذهبوا

اليهود هم مبتكرو الملابس القصيرة لإفساد المجتمع العربي :

ومن هنا نصل إلى النقطة الجوهرية في بحثنا ، فقد عمل اليهود على السيطرة على معامل الملابس والمساحيق والعطور وسواها من مستلزمات « المودة » ، وهم بذلك يتوصلون إلى تحقيق الغرضين ، فيسيطرون على المال ويفسدون الدين والأخلاق .

إنهم يعملون على بيع أكبر مقدار ممكن من الملابس ومنتجات الأزياء إلى نساء العالم ، فكلما غيروا الأنماط زادوا النساء شراء وإنفاقاً ، وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود . وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق القومية للشعوب ، فيشيعون التفسخ وينشرون الشهوات . وإنما الملابس القصيرة ابتكار يهودي ، فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ليزول الحيــاء وتنتشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البريء بين الشبان والشابات [1] ، وتضيع طهارة الفتاة وتتهدم

(٠) يراجع في هذا كتاب عبد الله التل « خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية » .

١ ــ قلت : وآخر خطوة في ذلك ما نسمعه بين الحين والآخر عن بعض المسؤولين في وزارات التربية والإعلام في بعض البلاد العربية ، من الدعوة للتعليم المختلط في مراحل التعليم المختلفة ! وكأنه لم تقنعهم تجارب الأمم الأخرى التي أظهرت ←

الأسرة وتنتشر الأمراض الجنسية ، ويبتلى الأطفال الأبرياء ، وينشأ جيل ضائع موبوء مريض . كل هذا يصنعه اليهود ونحن غافلون . والمرأة العربية تسعى إلى حتفها وحتف أمتها ، فهل آن لها أن تعرف هذا وتفيق من أحلامها ؟

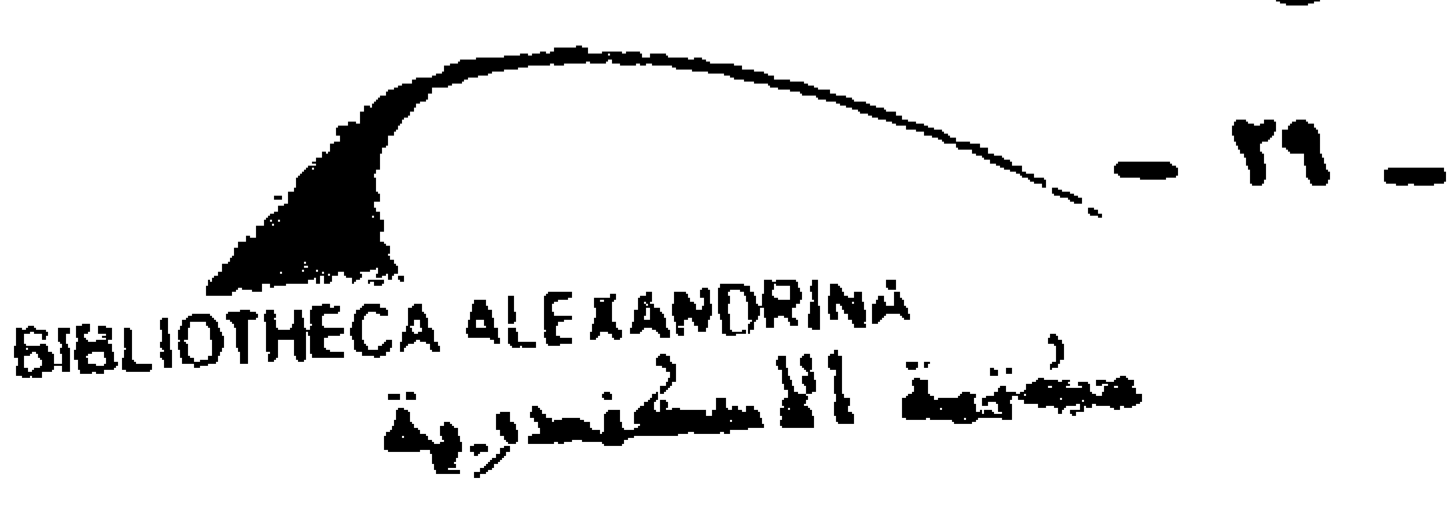
نداء إلى المرأة العربية :

وفي ختام هذه المحاضرة أود أن أتوجه بنداء إلى المرأة العربية عامة ، أن تدرك قيمتها ومكانها في الوجود والحياة ، وتضع لنفسها فلسفة جديدة ترفع شأنها وتعطي القيمة الأولى لذهنها وروحها [1] . ولتعلم المرأة أن اللباس عرض

←

بوضوح إخفاق هذا النوع من التعليم، وعظم جنايته على العقائد والأخلاق، والمجتمع والوطن ، ومقدار مايؤدي إليه من الانحلال والميوعة والفساد والفضائح ، ولا أجد تفسيراً مقبولاً لدعوتهم هذه إلا أنهم أحد فئتين : مغفلون مخدوعون وأغبياء جاهلون أو عملاء مأجورون ، وخبثاء ماكرون ، يعملون لحساب الصهيونية والاستعمار ، وينفذون مخططاتهم بأمانة وإخلاص . ولايمكن لأي إنسان يحب وطنه ويحرص على رفعة أمته أن يدعو إلى هذه الفكرة أبدا ، اللهم إلا أن يكون إنساناً همه شهواته وملذاته المحرمة بأي سبيل ، دون أن يرعى لأمته عهداً أو يحفظ لوطنه مصلحة .

١ ـ قلت : لقد كفاها الله سبحانه هذه المؤنة ووفر عليها ذاك الجهد ، ففي الإسلام الذي أنزله الله إلينا بواسطة نبيه (ص) أعظم فكرة وأصوب فلسفة للحياة جميعاً بكل جوانبها بشكل عام . ولحياة المرأة بشكل خاص ، ولو رجعنا إلى ماورد في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة من التوجيه والتنظيم لوجدنا أنه يفي بكل ما نطلبه من أجل الإصلاح العام الكامل الصحيح.



خارجي أصله الستر ودفع الحر والبرد ، وإنما الإنسان بعقله وحديثه وعمله وخلقه لا بملبسه وحذائه . ومن الإجحاف بمكانة المرأة ومواهبها العظيمة أن تقيم حياتها على مجرد إرضاء الغريزة وتسلية الرجل ، فهي أرفع من ذلك وقد أعطاها الله من أصالة الذهن وقوة الروح وإبداع المواهب ما جعل من النساء في الوجود مبدعات في العلم والاختراع والفكر والأدب والفن جميعاً ، وقد ساهمت النساء في فروع المعرفة فلا ينبغي للمرأة العربية أن تتخلف وتركن إلى غريزتها وعواطفها بأضيق المعاني .

مسؤولية الرجل في توجيه المرأة :

وإني لأومن إيماناً كاملاً بدور الرجل في توجيه المرأة ، فإذا كانت فتاتنا العربية متخلفة ، تعيش بغرائزها دون عقلها ، وتحيا للأزياء لا للحقيقة فإنما الرجل مسؤول عن ذلك كله . وإنما تتزين المرأة للرجل ، فلو كانت كل فتاة تجد رجلاً تعزه ، ويلومها على تبرجها ، ويعلن ازدراءه له لتركت المرأة التبرج تركاً تاماً .

والواقـــع أن الرجل عندنا متخلف كالمرأة ، وهو ما زال يحب الفتاة الضعيفة الذهن المثقلة بالزينة المصطنعة التي تلبس له التحتية القصيرة وتجعد شعرها عند الحلاق . فكل ما ذكرنا في هذه المحاضرة من وجوه التأنق والتبرج ترجع أسبابه إلى المرأة والرجل معاً ، والمجتمع كله مسؤول (١) . ومن ثم فإن الأناقة المسرفة التي تتصف بها المرأة العربية اليوم ذات دلالة اجتماعية أكيدة على وضعنا كله . ولن يتغير هذا الوضع بمجرد محاضرة تلقى في جامعة البصرة . وإنما سيتغير

إذا سمعت الحكومات العربية ما نقول،واتخذت تخطيطاً عاماً له فلسفة أخلاقية دينية [٢] ، وهدفه المحافظة على أصالة الأمة العربية وحفظ كرامة المرأة ورفع الاقتصاد القومي ومن ثم بنتيجة هذا كله ضرب إسرائيل .

نازك الملائكة

---

١ – قلت : بنفسي رسول الله (ص) ما أصدقه! وما أحكمه حين قال – فيما صح عنه – : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام (أي الحاكم) راع وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

٢ – قلت : من الحكم القرآنية العظيمة في بيان سنة الله تعالى في تغيير أحوال المجتمعات هو قوله سبحانه : « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ».


- ٣٢ -

وفي ختام هذه الرسالة أقدم الى القراء الكرام مقتطفات من كلمة كان كتبها الأستاذ نزار المؤيد العظم منذ نحو خمسة عشر عاماً ونشرت بعنوان :

لقد جعلت المرأة نفسها دمية !

متى ترجع الى مهنتها في صنع الاجيال ؟

قال : وتصرفات فتاة اليوم ومظهرها ، وكل شيء في وجودها يؤكد أنها (دمية) ! دمية رغم كل شيء ، ودمية رغم الثقافة التي نالت نصيباً منها ، والحرية التي منحتها ، وثورة الكرامة التي ادعتها . .

ثم خاطب الكاتب ممثلة الفتيات المتحررات والمدافعة عنهن فقال :

ورجاء . دلينا على واحدة من هؤلاء المتحررات ارتفعت بسلوكها ومظهرها وملبسها وتفكيرها الى مستوى ما فوق الدمية ! وأنكري إذا استطعت أن نسبة ازدياد عدد صالونات الحلاقة للسيدات قد ارتفع مع ازدياد عدد المتحررات في هذا البلد !

وتأملي كيف تسترخي المرأة على المقعد الوثير وتسلم رأسها لأصابع الحلاق ، وتستسلم لعبودية (موضات) التسريحات التي تتبدل وتتغير كل يوم ، وكيف تغادر الصالون بعد ذلك ، فإذا بشعرها تبدلت طبيعته ، وفقد نعومته ولمعانه وجماله واسترساله كالشلال على الكتفين ، وغدا منفوشاً تارة ، ومقعراً أو مقبباً تارة أخرى !

وتفضلي فانظري الى مظهر المتحررات في الشوارع ، إلى ثيابهن التي قصرت وقصرت ، وضاقت ثم ضاقت ، وانكمشت ثم انكمشت حتى باتت تظهر دقائق الجسد ونتوءاته وتقعراته ، وتكشف برخص عما يجب ستره !

وقفي هنيهة أمام موقف (الباصات) لتري أخواتك المتحررات وهن يصعدن الى السيارة ، بل وانظري إليهن وهن يصعدن درجاً أو يجلسن على أريكة ويضعن رجلاً فوق رجل !

ثم اسألي نفسك : ما الغاية من إقبالهن على صالونات الحلاقة ؟ وما الغاية من تقصير الثوب لما فوق الركبة؟ بل وما الغاية من حذف الأكمام من الأكتاف والصدر والظهر : ألشدة الحر [1] ؟

---

١ — قلت : من أغرب الظواهر التي تلفت النظر ، ولا ينقضي منها لي العجب ، منظر أولئك النسوة اللاتي يخرجن في أيام الشتاء القارسة ، في الطرقات متسكعات متهاديات كاشفات عاريات باديات السوق والأعناق ، يتحملن لسعة البرد ووخز الرياح والثلوج ، في الوقت الذي نشعر فيه نحن الرجال بالقشعريرة والبرد مع ارتدائنا المعاطف السميكة وتلففنا بالألبسة الكثيرة ، ترى من أجل ماذا يفعلن هذا ؟ وهل =

ألغلاء سعر القماش (١) ؟ ألرغبة في التوفير (٢) ؟ أم من أجل الأناقة ؟ أم لترضي المرأة غريزة الإغراء ، ولتجذب العيون النهمة كي تزحف فتتسلق ، لتؤكد أنها لم تخرج عن كونها (دمية) .

وفي ذلك ابتعاد كبير عن المستوى الإنساني ، ومسخ أي مسخ لمفهوم الحرية ، وتشويه فاضح لمعركة إثبات الوجود والذود عن الكرامة .

ويدعي هؤلاء أنهن يردن أن يحملن المسؤولية ويتحررن من القيود ،

= لذلك سبب إلا لفت نظر الرجال وإثارتهم ، والاستجابة لنداء إبليس الذي أخبرنا عنه الله سبحانه وتعالى في قوله : « فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما » الأعراف / ٢٠ .

وهل لذلك من تفسير إلا قصد إفساد أخلاق هذه الأمة ، وتبديد طاقاتها ونشر الميوعة فيها لينشأ الشباب ضعيفاً متخاذلاً رخواً خواراً متعلقاً بالدنيا وشهواتها لا يهتم بدين أو عرض ولا يبالي بأمة أو وطن ؟ وبذلك يسهل على العـــدو اقتحام البلاد وتنفيذ أغراضه الخبيثة لأن السور القوي الذي يحمي الحمى قد هدمه بعض أبنائه وبناته ، ترى ألا يمكن أن يكون اليهود والمستعمرون هم الذين يستأجرون كثيرات من هؤلاء ومن يدفعهن إلى هذا السلوك الآثم من أجل تحقيق غرضهم الخطير هذا ؟ إنني على ثقة من أنه لو جرى تحقيق جدي ونزيه حول هذا الموضوع لأثبت هذه الصلة بوضوح ، ولأفاد أي إفادة ، ولربما أتى بالعجب العجاب ! ! !

١ ـ قلت : الملاحظ أن عامة المتحررات من الطبقة المترفة الغنية أو المتوسطة التي لا تشكو قلة في المال .

٢ ـ قلت : من المعروف أنهن يصرفن المـــال الكثير في التوافه والكماليات ووسائل الزينة وفي سبيل الأناقة !

ولكن التحرر الخاطىء الذي يمارسنه أفقدهن الشعور بالمسؤولية ، وابتلاهن باللامبالاة والاستهتار ،وجعلهن يهملن كل ما يتعلق بوظيفتهن الحقيقية في الحياة ! تلك الوظيفة التي أرادها الله للمرأة كربة للبيت ، و كزوجة لرجل ينشد الراحة والنظام والترتيب في دار ، و كأم تهب وجودها وثقافتها وخبراتها لتنشئة أطفالها وإعدادهم للحياة الفاعلة الشريفة .

وأسأل : هذه الفتاة المتحررة التي لا هم لهـــا إلا تصفح مجلات الأزياء وتطويل أظافرها ، وصبغها بالأحمر والوردي ، وارتياد صالون الحلاقة يومياً ، ومنها الى دور الخياطة ، ومن ثم الى السينما والفسحات والزيارات والاجتماعات في الندوات والمجالس ، ما الذي تركته من وقتها للبيت ، للطبخ ، لترتيب الأثاث ، للعناية براحة الرجل حين يعود منهكاً من عمله ، لرعاية أولادها ؟

أتترك ذلك كله للخادمات ، للمربيات ؟ أو كل إنسان قادر على أن يتحمل نفقات تلك الخادمات والمربيات [1] ؟ ثم هل يجوز أن يوكل أمر البيت برمته للخادمات الجاهلات [2] ؟ أهكذا يكون التحرر ؟ أهكذا تكون مشاطرة المرأة للرجل في تحمل المسؤوليات وأعباء الحياة ؟

---

١ — قلت : وأين هن هؤلاء الخادمات ، إنك ستحتاج لتحصل على واحدة منهن الى بحث وتنقيب أشهراً كثيرة ، وربما ترجع بعد ذلك بخفي حنين ! !

٢ — قلت : وبعض النساء ليس لديهن خادمات فيتركن أولادهن في البيوت ، ويغلقن عليهم الابواب ، وينصرفن لفسحاتهن وأناقتهن ، وما أكثر الحوادث السيئة والمؤسفة التي تحدث لهؤلاء الأولاد، هذا بالإضافة لحرمانهم عطف الأمهات وحنانهن =

ثم انتقل الأستاذ الكاتب الى ناحية أخرى من الموضوع فقال :

وللمرأة العذرفي ألا تغفر الخطيئة المذكرة، ولكن هل يبرر وجودها وجود خطيئة مؤنثة بالمقابل ؟ولا أنكر ان الخطيئة المذكرة فحشاء تمنعها الأديان وتمقتها الأخلاق والفضيلة ، ولكن هذه الخطيئة على فحشها لا تترك في كيان الرجل ماتخلفه في كيان المرأة، ولا تحرقه بقدر ماتحرق المرأة ، ومعظم المجتمعات تحكم على المرأة بقانون أشد وأقسى من القانون الذي تحكم به على الرجال .

ثم تطرق الكاتب الى دعوى مدعيات التحرر أنهن يرفضن أن يكون لهن تسعيرة للزواج ، كما كان لأمهاتهن وجداتهن ، وأن يبعن أنفسهن لقاء ثمن لايقل عن طابق وسيارة وخادمتين ... فقال مخاطباً إحداهن :

إن هذا الكلام جميل لوكان له نصيب من الصحة في واقع المرأة الشرقية، ودليني على عشر فتيات متحررات في هذا البلد كفرن بالتسعيرة ، وفهمن الزواج على أنه مشاركة وتعاون ، وليس صفقة رابحة تحدد لها الشروط ، وتسبقها مساومات ومزايدات ؟

= وتوجيههن، ومن كان من هؤلاء الاولاد كبيراً خلا له المجال لكي ينزلق في تيار الرذيلة والفساد والجريمة ، وينساق مع رفاق السوء ، وغدا يتبع هواه الطائش وتسوقه غرائزه المستعرة دون توجيه أو تصعيد أو تهذيب أو تلطيف ، فينشأ نتيجة لذلك أسوأ جيل تتجلى فيه الميوعة والانحراف والطيش والشذوذ ، وعدم الجد في الحياة أو الاهتمام بالعلم ، وأنا بحكم عملي في التدريس ألمس ذلك بوضوح ، فقد غدت هذه المهنة لهذا السبب ولغيره سيئة للغاية ، وأضحت جحيماً لا يطاق ،وأضحى المدرس يعيش على أعصابه كما يقال ، وسل أي مرب ليأتيك بالخبر اليقين !

دلينا على عشر فتيات من المتحررات يرضين بالرجل من أجل رجولته ونبل أخلاقه ، وسمو آماله وسعة طموحه ، تذهب إحداهن الى القاضي الشرعي ليعقد قرانه عليها [1] لقاء خاتم ولو من حديد ! ترضى بأن تعيش معه عيشة بسيطة حسب قدرته كما تفعل الفتاة التي تقدّر مهمتها في الحياة ، ولو كان ذلك كذلك لما عانى الشباب داء العزوبة ، ولما عانت الفتاة داء العنوسة ، ولأفلس كثيرون من الصاغة وباعة المجوهرات ، ولسُدّ كثير من سبل الرذيلة والمجون والمزالق الخطرة التي يؤدي اليها الكبت عند الجنسين .

ثم أنهى الكاتب كلمته مخاطباً أمثلة المتحررات : اطلبي من المتحررات ان يعدن الى ذواتهن فينتزعن الشعور بالدونية ، ويحطمن التمثال اللعبة ويصعدّن غريزة الإغراء لما فيه إنقاذ كرامتهن ، وفرض احترامهن ، وليفهمن ان الحرية انما هي حرية العقل وتحرره من السفاسف والتفاهات والقشور ، وليدركن ان مسؤوليتهن في الحياة أخطر وأعظم من مسؤولية الرجال [2] ، وان فعالية المرأة تقاس بمقدار العطاء الذي تهبه من وجودها لتصنع الأجيال الصاعدة .

---

١ ـ قلت : لا بد مع ذلك من موافقة وليها وحضور شاهدين .

٢ ـ قلت : لقد بين الاسلام مرتبة المرأة ومسؤوليتها في قوله ص) « إنما النساء شقائق الرجال » رواه الدارمي وغيره وإسناده صحيح .

الفهرس

الصفحة	الموضوع

